اسم المصدر: الحياة

التاريـــخ: 06-05-2010 رقم العـدد: 17198 رقم الصفحة: 9 مسلسـل: 59 رقم القصاصة: 1

سألوني عن "السيف الأجرب" (٢ من ٢)

سيف الإمام تركي كيف وصل الى البحرين؟

عبدالله الصالح العثيمين *

■ افتخـار العربـي بجواده أو سـلاحه، وإعطاؤهمـا اسـماً خاصاً، أمـران معروفان قديماً وحديثاً. ومما عرف في العصر الحديث افتخار الشـاعر الأمير عبيد بن رشيد بجواده كـروش قائلاً؛ وهو يخاطـب أحد ولاة الأتراك الذي طلب منه بيعها إليه:

يا بيه أنا لكروش ما اعطي ولا ابيع
قبلك طلبها فيصل وابن هادي
باغ إلى ما أتّموها المصاريع
وصاح الصياح وثار عج الطراد
أنهج عليها وتعدي بالترابيع
مثل الفحل لى صال وقت الهداد
واصلها لعيون بيض مفاريع
فوق الحنايا و السبايا غواد

ومما عرف، أيضاً، افتخـار الخياط، أحد شعراء عنيزة المشهورين، ببندقيته

لي بندق ترمي اللحم لو هو بعيدْ
ما وقّفت بالسوق مع دلاّلها

أمـا الإمام تركـي بن عبد اللـه، الذي كان قوله مطابقاً لفعله، فكان افتخاره بسيفه، الذي سـمّاه الأجـرب، قائلاً - حسـب الرواية التي يحفظها كاتب هذه السطور-:

من يومْ كلّ من خويّـه تبرّا
حطّيت الأجرب لي خوي مباري
نعم الرفيق إلى سطا ثم جرّا
يودع مناعير النشامى حباري

ورد البيت الأول عند عبد الله الحاتم، كما رواه آخرون:

اليوم كلّ من عميله تبرا
وحطّيت الأجرب لي عميل مباري

ويبدو لي أن ما أحفظه أقرب إلى الصحة، لأن الرفيق في البيـت الثاني كلمة مرادفة في المعنـى لكلمة خـوي، ولأن المراد المصاحبة والرفقة. على أن مـن الواضح عدم توفيق من قرأه:

اليوم كلّ من خويّه تبرا
وحطيت الأجرب لي صديق مباري

والبيت الذي ذكر فيه السـيف الأجرب من قصيدة طويلة أرسـلها الإمـام تركي إلى ابن أختـه - وابن عمه أسـيراً - مشـاري بن عبد الرحمن آل سـعود، الذي كان في مصر مع من أخذوا من آل سـعود عقب استسـلام الدرعية سـنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م. على أن هذه القصيدة الطويلة القوية شاعرية هي الوحيدة - حسب علم كاتب هذه السـطور - المنسوبة إلى ذلك الإمـام. وهذا مما يلفت النظـر، ويجعل المرء يسـأل؛ ألـم يقـل تركـي - والقصيـدة بهذه الشـاعرية القويـة - غيرهـا؟ إن كان قـد قال قصائد أخرى فأين هي؟

والسـؤال الآخر الذي يمكن أن يسـأل: ما المعنى المراد من كلمة الأجرب؟

هناك من يقول: إنه سـمّي بذلك لما يوجد فيـه من صـدأ. وقد جـرت العـادة أن يفتخر بالسـيف المصقول، أو المصلت، لا بالسـيف الـذي فيه صدأ. ويبدو أن مـراد تركي هو أنه رغم صدأ سيفه فإن كفّه جعلته ماضياً، أو أنه كان صدئاً، فجلاه، وبقي له الوصف الذي كان له قبل جلوه. ذلك أن من موحيات صدأ السيف عدم اسـتعماله لأنه لو كان يسـتعمل لما حلّ به الصدأ.

والقصيدة المشار إليها، هنا، من القصائد التـي يحفظهـا ويقدرها كثير مـن المهتمين بنوع الشعر الذي قيلت فيه، ومطلعها:

طار الكرى من موق عيني وفرّا
وفزّيت من نومي طرى لي طواري

ومنها:

سر يا قلم واكتب على ما تورّا
أزكى سلام لابن عمي مشاري
شيخ على درب الشجاعة مضرّا
من لابـة يوم الملاقى ضواري

ومنها مخاطباً لمشاري وحاثاً له على عدم البقاء في مقعد الحقران:

يا حيف يا خطو الشجاع المضرّا
في مصر مملوك لحمـر العتاري
اكفخ بجنحان السـعد لا تدرّا
فالعمر ما ياقاه كثر المداري

وهـو يقصد «بحمر العتـاري» حكام مصر حينذاك، الذين لم يكونوا من أصل عربي.

أما بعد: فما قصة وجود الأجرب... سـيف الإمام تركي... لدى حكام البحرين؟

تختلف الروايات حـول وصوله إلى هناك وبقائه لدى أولئك الحكام. من الذي أوصله إلى تلك البلاد؟ وهل كان وجوده عند أولئك الحكام

اسم المصدر: الحياة

التاريـــخ: 06-05-2010 رقم العـدد: 17198 رقم الصفحة: 9 مسلسـل: 59 رقم القصاصة: 2

نتيجة هدية إليهم أو كان أمانة عندهم، أو كان نتيجـة صفقة معيّنـة؟ لعلّ مما يسـاعد على معرفـة الحقيقة إيضاح الظروف السياسـية التي وصل أثنائها ذلك السيف إلى البحرين.

من المعروف تاريخياً أن سعود بن فيصل اختلف مـع أخيه عبدالله بعـد وفاة والدهما الإمام فيصل بن تركـي عام ١٣٨٢هـ/ ١٨٦٥م. وقد حاول سـعود أن يحصل على مساعدة من ابن عائض في عسـير، لكـن خلق ابن عائض الرفيـع جعله يحث سـعوداً علـى المصالحة مـع أخيـه عبدالله بـدلاً من منازعتـه لأن في نزاعهمـا ضرراً على أسـرتهما وعلـى أتباع الحكم السعودي. فذهب سعود إلى حيث جمع أنصـاراً من الدواسـر وبني يـام، وتقابل مع أتباع أخيه عبدالله الذين كانوا بقيادة أخيهما محمـد ابن فيصل؛ وذلك فـي معركة المعتلى. وانتصر في تلك المعركة أتباع عبدالله، وجرح سـعود، فذهب إلى الجهات التابعة لآل سعود في منطقة عمان حيث أقام حتى برئت جراحه. ثـم انتقل إلى البحرين ضيفـاً على آل خليفة. ومن المعلوم وفقاً للظروف حينذاك أن وجوده هناك لم يكن بغير رضى بريطانيا ذات النفوذ فـي منطقة الخليج بصفة عامـة. بل ربما كان ذلك الوجود بتشجيع من تلك الدولة المتنفذة. ومـن المعلـوم، أيضـاً، أن بريطانيـا لم تكن متعاطفة مع عبدالله بن فيصل لأنها كانت ترى فيـه محافظاً على توجه ديني لا تؤيده، وميالاً إلى التعامل الودي مع الدولة العثمانية، التي لا تكن لها مودة على الإطلاق.

ولقـد حصل سـعود بـن فيصـل على ما حصـل عليه من عـون في البحريـن، فانطلق من هناك إلى المناطـق التابعة لأخيه عبدالله في شـرقي الجزيرة العربيـة، لكنه صد عنها، فعـاد إلى البحريـن حيث تقاطـر عليه أتباع كثيرون، فانطلق مرة أخرى من هناك، وحالفه الحـظ، وتـوج نجاحه بانتصـاره على أتباع أخيـه عبدالله، بقيـادة أخيهمـا محمد، في معركة جودة، واعتقل محمد نفسه. وكانت تلك المعركة مما دفع عبدالله إلى الاستنجاد بوالي العـراق العثماني، الذي أرسـل حملة خلصت محمـد بن فيصل مـن اعتقاله، لكـن النتيجة كانت انتزاع شرق الجزيرة العربية من الحكم السـعودي. وقصة ما حدث بعـد ذلك معروفة لدى المطلعين على التاريخ المحلّي.

ومما سـبق يبدو لي أن السـيف الأجرب كان عند أم سـعود بن فيصـل عند وفاة أبيه، فأصبح عند سعود. وعندما ذهب إلى البحرين كان معـه. هـل أهـداه - وهو أغلى مـا يملك مـن الناحيـة المعنويـة - إلى أولئـك الذين ضيفـوه وناصـروه؟ هذا أمر محتمـل؛ بل قد يكـون مرجحاً. هل كان خائفـاً عليه من بقائه معـه مـع عزمه علـى خوض معـارك لا يدري مـا نتيجتهـا؛ وبخاصة بعد فشـل انطلاقته الأولـى من البحرين، فأبقاه عند مضيفه أمانة إلى أن يفعل الله ما يشـاء؟ هـذا أمر محتمل أيضاً. غيـر أن مما يثيره هـذا الاحتمال هو: لماذا لم يقم سـعود باسـتعادة السيف من آل خليفة بعد أن وصل إلـى الحكم في الرياض؟ ويبقى السؤال الآخر؛ وهو وجود السيف عند آل خليفة نتيجة صفقة معينة. السيف الأجرب كان مشـهوراً لدى الفئات الشعبية، وهو غالٍ وعزيز عند مالكه من آل سـعود. هل اشـترط آل خليفة على سـعود بن فيصل أن يسـلّمهم السيف مقابل مسـاعدته عسكرياً؟ الذي يبدو لي أن هذا الاحتمال هـو أضعف الاحتمالات. ذلك أن السـيف لا قيمة كبيـرة ترجى منه من الناحية المادية، وكرم الضيافة من عادة كرماء العرب التي تبدى من دون شروط.

أما الرواية التي تقول: إن عبدالله بن فيصل هو الذي أرسـله إلى آل خليفـة فمن الواضح أن صاحبها واهم. ذلـك أن علاقة عبدالله بهم لـم تكن مثل علاقة أخيه سـعود بهم، ولم يكن هنـاك أيّ مبرر - في ضـوء تلك العلاقة - لأن يكون هو من بعثه إليهم. ويبقى سـؤال أخير في الموضوع؛ وهو: هل قُدّم ذلك السيف لأبي تركي، الملك عبدالعزيز، وهو المؤسس للدولة السـعودية الحالية؟ أم هل قـدّم للملك فيصل؛ وهـو صاحب الموقـف المعـروف في قضية ادّعاء شاه إيران بأن البحرين تابعة له؟ أم هل قدم للملـك فهد؛ وهو الذي تم فـي عهده بناء الجسـر المسمّى باسـمه؟ إن كان قدم إلى أي واحد من هؤلاء الملوك فلماذا لم يصبح لديه؟ الذي يبدو لي أن السـيف كان قد آل إلى واحد من آل خليفة لم يشـأ أن يتخلّى عنه لسبب من الأسباب، فشاء الله أن يكون تقديمه إلى خادم الحرمين الشريفين، الملك عبدالله، في زيارته الميمونة للبحرين.

---

* الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية.

اسم المصدر: الحياة

التاريـــخ: 06-05-2010 رقم العـدد: 17198 رقم الصفحة: 9 مسلسـل: 59 رقم القصاصة: 3

خادم الحرمين الشريفين يتسلم «السيف الأجرب» في البحرين